سلسلة دفع الريب عن الأئمة ذوي الرتب (١)

الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله من الكذب والغلط

تأليف

علي بن محمد أبو الحسن عمر بن أحمد بن علي الأحمد

دار أطلس الخضراء
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار أطلس الخضراء ، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أبو الحسن ، علي محمد

الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد من الكذب والغلط / علي محمد أبو الحسن ـ الرياض ، ١٤٢٥ هـ

٤٨٢ ص ؛ ٢٤ سم (دفع الريب عن الأئمة ذوي الرتب ، ١)

ردمك : ٥ ـ ٢ ـ ٩٤٩١ ـ ٩٩٦٠

١ – ابن حنبل، أحمد بن محمد ، ت – ٢٤١ هـ أ ـ العنوان

ب، السلسلة

ديوي ٩٢٢,٥٨٤ ١٨٤٧ / ١٤٢٥

رقم الإيداع : ١٨٤٧ / ١٤٢٥

ردمك : ٥ ـ ٢ ـ ٩٤٩١ ـ ٩٩٦٠

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م

دار أطلس الخضراء

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ١١٣٦٢ ص.ب: ٢٩٠١٦٢

هاتف: ٤٢٦٦٩٦٣ ـ ٤٢٦٦١٠٤ فاكس ٤٢٥٧٩٠٦

الموقع الالكتروني: www. dar-atlas. com

البريد الالكتروني: info @ dar-atlas. com

دار أطلس

الجمهورية العربية السورية ـ دمشق

دومة ص.ب: ٣٠٢

هاتف: ٥٧٥٠٠١٢

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فمن المعلوم أنَّ الإسلام انتشر في الأمصار بالدعوة إلى الله في مدة زمنية قياسية، حتى امتد إلى مشارق الأرض ومغاربها، وهذا مما لم يحظ به دين آخر، وذلك لقبول البشرية هذه الرسالة السماوية، التي تتفق مع فطرتهم السليمة، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، واستمرؤوه زرافاتٍ

ووحداناً، وزحفوا إليه أرسالاً أرسالاً، وهكذا انتشر هذا الدين انتشاراً واضحاً في كل الأمصار، وسار في الأقطار مسير الشمس في رابعة النهار، ولم يقف الأمر عند هذا، بل إن رغبة الناس في الخير ومحبتهم فيما عند الله من الأجر وما وعدهم به من ذلك بالجزيل، منطلقين من قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم»[(١)].

ومن قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(٢)].

فمن هذين الحديثين وغيرهما، ورغبةً في إدخال الناس ودعوتهم إلى الإسلام، بدأوا بالدعوة إليه، وحث الناس على اعتناقه.

فتنّوع هذا الاهتمام بالدعوة إلى هذا الإسلام:

فمنهم: من حمل راية الجهاد في سبيل الله، وسار يجاهد في سبيله، ويثري الفتوحات الإسلامية ويزيد تاريخ الإسلام إشراقاً إلى إشراقه...

ومنهم: من حمل الكلمة شعراً، وأدباً، فأجرى لسانه ومداده في الدفاع عن الدين والدعوة إليه في ذلك المضمار.

ومنهم من حمل راية العلم، فسعى إليه واجتهد لتحصيله وصبر عليه وتحمّل الأذى والصعاب في سبيل تبليغه؛ ومن بين المجاهدين والقادة والشعراء والأدباء والكتاب، نفرد العلماء في هذه السلسلة رغبة في الذب

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عنهم لما لهم من الأثر العظيم في الأمة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عُدولُه، فينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»[(١)]؛ ولقوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[(٢)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «. . . العلماء ورثة الأنبياء»[(٣)].

ولأنّ الغلط على العلماء ليس كالغلط على غيرهم، لأنهم حذّروا الناس من دواخل الاعتقاد الفاسد الذي يناقض المعتقد الصحيح . . ، وحذّروهم من كل بدعة، ومعصية تذهب بجمال وصفاء ورونق هذا الدين، وأخذهم بحجز الناس إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. قال الإمام أحمد يرحمه الله في خطبته فيما صنّفه من «الرد على الجهميّة»: «. . . فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائهٍ ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة

---

(١) هذا الحديث له طرق عديدة ذكرها ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٩٧) وخلاصة القول في هذا الحديث - كما قال محققه الشيخ علي الحلبي -: إن شاء الله أنه حسن لغيره؛ لأن عدداً من طرقه خالٍ من الضعف الشديد، فمثلها بالتعدّد تجبر الضعف.
وله - أي علي الحلبي - في تخريجه جزء مفردٌ فيه زيادة كثيرة.
أسماه «اتحاف ذوي الشرف، بطرق حديث: يحمل هذا العلم من كل خَلَف».

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٠٢٧) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه أبو داود برقم (٣٦٤١)، والترمذي برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه برقم (٢٢٣)، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وأطلقوا عنان الفتنة. . .»ا هـ[١].

لقد كان لهذا التحذير من أولئك الأعلام الأفذاذ، أثره العظيم في حجز الناس عن الوقوع في مهاوي الردى، وأودية الضلال، والقول على الله بغير علم. .

فاستجاب لذلك النداء فئامٌ من الناس، فعرفوا لهؤلاء العلماء الأعلام قدرهم فشكروهم، بل إنهم رأوا أنهم - أي الناس - لم يبلغوا حق الوفاء لهم - أي العلماء -.

وآخرون الله أعلم بنيَّاتهم لم يعرفوا لأولئك الأئمة قدرهم ولا حقّهم، وهم اثنان: أصحابٌ أتباع، وآخرون أدعياءٌ أعداء، فهم لم يعرفوا حق الأئمة وقدرهم (بطريق مباشر) وأمرهم واضح بيّنٌ لكل ذي عينين، وقصدهم جليّ لهدم هذا الدين.

بقي الصنف الأول: وهم الأصحاب الأتباع - وإن كانوا لا يقصدون الإساءة[٢] لهم ولا أرادوها، ولكنهم أساءوا (بطريق غير مباشر) - ليس

---

(١) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٨)، وقال: ويروى نحو هذه الخطبة عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، كما ذكر ذلك محمد بن وضّاح في كتاب «البدع والحوادث».

(٢) من ذلك مثلاً، سوء الاعتقاد عند أتباع المذاهب، فمن المعلوم أن الأئمة أبا حنيفة، ومالكاً، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، من ذوي الاعتقاد السلفي الصحيح، لا شك في ذلك ولا مطعن فيه، لكن قد تورّط بعض الأتباع لمذاهب هؤلاء بالاعتقاد الخَلَفي، كالاعتزال، والتصوّف، والتمشعر، وغير ذلك مما لا علاقة للأئمة بذلك الاعتقاد الخلفي البدعي لا من قريب ولا من بعيد. =

بالطعن فيهم عياذاً بالله، ولكن بالنقل لترويج فكر ينادي به قوم(!)، أو لتمرير فتوى تخدم غرضاً من أغراض الدنيا، أو لكسب عرض زائل من أعراضها (!)، أو للغلو في هذا الإمام أو ذاك تارة (!) حتى إنه وضعت الأحاديث المكذوبة الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه في ذلك، أو ليٍّ عنق الأحاديث لتتوافق وهواه، أو التحذير من ذلك العالم تارة (!) أو إرادة نشر خير هذا الإمام تارة أخرى (!).

فمن هنا أُتي العلم وأهله، وكثر بين طلبة العلم - وتسرّب ذلك إلى عوام المسلمين - أن فلاناً يجفو فلاناً، أو أنَّ فلاناً من العلماء يغلو في فلان من العلماء، أو أنَّ الإمام قال قولاً واتهم بتهمة هو منها براء.

وللأسف تمرّر مثل هذه الأغلاط والأكاذيب دونما رقيب أو حسيب، وكأنها صحيحة، بل إن الأمر يتعدّى ذلك إلى تحليل مثل هذه المواقف على أنها من المسلَّمات(!) والوقوف معها وقفات وأخذ العبرة منها (!)، فكان الأحرى وضع مثل هذه النقولات من العلماء موضع النقد العلمي الذي يثبت صدقها من زيفها.

ولئن كان قد عُرف عند أهل الحديث نقدهم للروايات الحديثيّة واشتهر ذلك فلا تقل أهميته في هذا الباب؛ لأنه قد يحصل من الكذب على هذا الإمام أو الغلط - بقصد حسن أو بغيره - أمورٌ لا ترجع على الأمة بخير أبداً، فكان لابد للقارئ الكريم معرفة ما يقال ويذكر عن أولئك الأئمة،

= جرى التنبيه على ذلك لئلا يُظنّ بالأئمة من خلال أتباعهم أنهم على غير الجادة والسابلة في سلفية الاعتقاد، حتى إنّ بعضهم أشعري العقيدة ثم يأتي بمصنَّف يزعم أنه يدافع فيه عن اعتقاد الإمام (!!) ممّا هو منه براء.

ووضعها تحت المجهر فكم ذُكر عن إمام أنه يقول بقول، وعند التحقيق (!) وجد أنَّ هذا القول منسوباً إليه ومكذوباً عليه بل لم تنبس به شفتاه.. أو... أو... كما سيأتي في الأمثلة من هذا الكتاب، والحال شاهد بالأثر السيء الذي تخلِّفه تلك المقولات على الأجيال من خلاف وتنازع يؤدي إلى الفرقة والفشل، وقال تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

وهكذا توالت قافلة الخير تسير، ولا يسلم أحدٌ من علمائها، إما افتراءً أو غلطاً أو كذباً، فجاء هذا العمل المتواضع الذي نسأل الله عزوجل أن يوفقنا فيه للذب عن أئمتنا الأعلام شموس الدجى وبدور الظلام، بما ندين الله عزوجل به، ووسمناه بـ «**دفع الريب عن الأئمة ذوي الرتب**».

وقد قمنا بذكر الأسباب والضوابط، ونماذج من الكذب والغلط والافتراء على الأئمة الأعلام إسهاماً في تصويب الخطأ عن الأئمة الذين يشكل أتباعهم كل العالم الإسلامي وبذلك نضع لبنة لابد منها في بناء وحدة الأمة الإسلامية.

وأهمية هذا الموضوع تكمن في أن الذبّ عن آحاد الناس أمر حمده الشرع ومدحه وحثَّ إليه وحضَّ عليه، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم «من ذبّ عن لحم أخيه لغيبته، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»[1] فكيف بالذب عن عالم من علماء الإسلام؟ فضلاً عن أن يكون إماماً من الأئمة الأعلام؟ فضلاً عن أن يكون له مذهب متبوع، فلما كان

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٦١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٠٧) وغيرهما من حديث أسماء بنت يزيد بن السكن، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٩٥)، وقال: رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن.

الأمر كـذلك جاءت فكرة الذب عن الأئمة ودفع الريِّب عنهم، ووضـعهم في مكانهم اللائق بـهم، وذلك بعض الحق الذي لهم علينا رحـمـهم الله رحمة واسعة.

وكـان باكورة هذا العـمل الدفع والذب عن حـياض الإمـام أحمـد - رحمه الله - إمام أهل السنة والجماعة، لما عـلم من موقفه عليه رحمة الله في دفاعه عن العقيدة الصحيحة وامتـحانه فيها، خاصة ما حصل معه في فتنة القرآن.

قال شيخ الإسلام ابن تـيمية - رحمه الله - وهو الخبـير بكلام الأئمة وخاصة الإمام أحمد، قال في «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٠٨):

«.. فإنه بسبب المحنة المشهورة من الجهميّة له ولغيره، أظهر من السنّة وردّ من البدعـة ما صار به إمامـاً لمن بعده، وقوله هو قول سـائر الأئمة، فعامة المنتسبين إلى السنة يدّعون متابعته والاقتداء به..» ا هـ.

والإمام أحمد قد أظهر عقيـدة أهل السنة والجماعة. قال شيخ الإسلام في «الدرء» (٥/ ٥): «والاعتـقاد إنما أضيف إلى أحمـد؛ لأنه أظهره وبينه عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، حظ أحمد منه كحظّ غيره من السلف، معرفته والإيمان به، وتبليغه والذب عنه، كما قال بعض أكابر الشيوخ: الاعـتقاد لمالك والشافعي، ونحوهمـا من الأئمة، والظهور لأحمد بن حنبل» اهـ.

ومن أسبـاب البداءة بالإمام أحـمد في الذب عنه، ما قـاله أبو الحسن الأشعري في كتابه «الإبانة عـن أصول الديانة» (١/ ٢٠): «فإن قال قائل:

قد أنكرتم قول الجهميّة والقدرية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب ربنا، وبما روي عن الصحابة والتابعين، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل قائلون، ولما خالف قوله مجانبون؛ فإنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم» اهـ. إضافة إلى الإمام أحمد من الأئمة المشهورين، ولهذا يقع عليه الكذب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الاستقامة» (١/ ٣٨٣): . . ومن أكثر الكذب، الكذب على المشايخ المشهورين، فقد رأينا من ذلك وسمعنا ما لا يحصيه إلاّ الله. .

لهذا ولغيره من الأسباب كان البدء في دفع الغلط عنه، فنذكر الخطأ، ونبيّن عواره، ونكشف أواره، ونقارنه بأقوال الإمام مما صحّ عنه، وأحياناً نكتفي بقول من يذكر الخطأ ويوجهه ويتعقّبه كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن الوزير اليماني، وابن رجب الحنبلي وغيرهم رحمة الله عليهم.

هذا وقمنا بعمل ترجمةٍ موجزة للإمام أحمد ثم بيان للغلط والخطأ عليه في العقيدة، ثم في الفقه، ثم في الحديث، ثم في القصص والحكايات، ثم في الكتب والمصنّفات. وعملنا فهرساً لفوائد هذا الكتاب.

وأسميناه «**الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد - رحمه الله - من الكذب والغلط**»، والاسم موافق للمسمّى إن شاء الله؛ لأنا إن كنّا نلتقط فإنه لا شك قد يفوتنا الكثير مما لا يتيّسر لنا لقطه.

أيهـا القـارئ الكريم (!) لك غنم هذا العـمل - في هذا الكتـاب - وعلينا غرمـه. . . ولك نفعه وعلينا غـائلته. فكم تعبنـا فيه حتى نخـرجه على الوجـه الذي يرضي إن شاء الله تعـالى، فمـا كان صواباً فـمن الله عزوجـل وحده، فله الحـمد على ذلك، ومـا كان من خطأ أو زلل فـمنّا والشيطان، والله ورسوله منه براء.

والمرجو من الله العفو والصفح والتجاوز عن خطاءٍ لم يكن مراداً، وأن يغفر لنا ما قدَّمنـا ما حقَّه التأخير، أو أخرنا ما كـان حقه التقديم، وأن لا يحرمنا الأجر إنه سميع مجيب الدعاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب

علي بن محمد أبو الحسن آل سعيد

عمر بن أحمد بن علي الأحمد آل عباس

الجوف - دومة الجندل

ص. ب (١٤٨)

مقدمة كتاب الملتقط في دفع ما ذكر عن الإمام أحمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم، السميع البصير، ذي الفضل الواسع، والمنن التوابع، والنعم السوابغ والحجج البوالغ، علا فكان فوق سبع سمواته، ثم على عرشه استوى، يعلم السر وأخفى، ويسمع الكلام والنجوى. وأصلي على نبينا محمد، رسوله المصطفى، ونبيه المرتضى، اختاره الله تعالى لرسالته، ومستودع أمانته؛ فجعله خاتم النبيين، وخير خلقه أجمعين[1].

أما بعد: فلمّا عَظُم الخطب وكثرت الجهالة بنسب ما لايصح، ولايليق إلى الإمام المرضي، إمام الأئمة، وكهف الأمة، ناصر الإسلام والسنة، إمام أهل زمانه أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، قدس الله روحه، ونور قبره، الإمام الذي لا يجارى، والفحل الذي لا يبارى، ومن أجمع أئمة الدين - رحمة الله عليهم - في زمانه على تقدمه في شأنه، ونبله وعلو مكانه.

قصدت لمجموع نبهت فيه على هذه المسائل، وذكرت اعتقاده الحق فيها مع أني لستُ أرى لنفسي أهلية لذلك، والعلماء والأئمة - رحمهم الله - قد عنوا بجمعها، ولكنها مفرقة في كتبهم، فأردت أن يبقى لي بجمعها ذكر ودعاء، وأن أكون مُشَرّفاً فيما بين أهل العلم من أهل السنة بانتسابي

---

(١) من مقدمة كتاب «طبقات الحنابلة» لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى مختصراً.

إليه، ونحلى مذهب اعتقاده وطريقته[١].

والعجيب أنَّ من ينسب له هذه المسائل المنحولة، غالبهم من الأصحاب، ورحم الله الحافظ الجليل، أحمد بن محمد بن هانيء المعروف بالأثرم المتوفى بعد سنة (٢٦٠هـ) لما قال: «أحمد بن حنبل سِتر من الله على أصحابه، فينبغي لأصحاب أحمد أن يتقوا الله ولا يعصوه، مخافة أن يعيّروا بأحمد بن حنبل»[٢].

وليتهم كانوا كما قال ابن عقيل للنظَّام المعتزلي عن حال الحنابلة وفيه: «... لأنَّ متبع السليم سليم...»[٣].

وليعلم أن الأصل في أصحاب الإمام أحمد خاصة المتقدمين منهم سلامة الاعتقاد إلا من شذّ منهم، وهذا حال أصحاب الأئمة البقية كأبي حنيفة ومالك والشافعي - رحمهم الله -[٤].

قال ابن عقيل رحمه الله في وصفهم: «هم قوم خشن، تقلَّصت أخلاقهم عن المخالطة، وغلظت طباعهم عن المداخلة، وغلب عليهم الجد، وقلَّ عندهم الهزل، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة، وفزعوا عن الآراء إلى المرويات ... وغلبت عليهم الأعمال الصالحة، فلم يدقّقوا في العلوم الغامضة، بل دققوا في الورع وأخذوا ما ظهر من العلوم، وما وراء

---

(١) من مقدمة كتاب «مناقب الإمام أحمد» ليحى بن عبدالوهاب بن محمد بن إسحاق بن منده، ذيل الطبقات (١/ ١٢٩).

(٢) «طبقات الحنابلة» (١/ ٧٣).

(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ١٥٢).

(٤) انظر لتقرير هذا بالتفصيل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (١/ ١٤).

ذلك قالوا: الله أعلم بما فيها من خشية باريها، ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً، إنما غلبت عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار من غير تأويل ولا إنكار...» اهـ[١].

وسبب الخلط ولا شك هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - هو أنهم يخلطون في مواضع كثيرة السنة والبدعة، حتى وقعوا في تبديل الأمر، فجعلوا البدعة التي ذمها أئمتهم هي السنة، والسنة التي حمدها أئمتهم هي البدعة، فيحكمون بموجب ذلك، وخاصة المتأخرون منهم[٢].

والإمام أحمد - رحمه الله - لما كان من أمره في الفتنة ما كان، مما رفع الله به شأنه صار الانتساب إلى عقيدته سلامة، وعلامة السني اتباع عقيدة أحمد، وعلامة المبتدع تركها، لذا صار كل من أتى بعده من طوائف أهل القبلة يفخر بالانتساب إليه في الاعتقاد ويعتصم به، وكل طائفة صارت تنسب إليه اعتقادها وتقول: «هو اعتقاد» أحمد بن حنبل فتنصر به عقائدها.

---

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ١٥٢).

(٢) «الاستقامة» للشيخ ابن تيمية (١/ ١٣، ١٤).

في سبب الغلط على الإمام أحمد (*)

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أسباباً في الغلط والانحراف من أتباع الأئمة بيّن كثيراً منها في «الفتاوى» في (٢٠/ ١٨٤) فقال: المنحرفون من أتباع الأئمة في الأصول والفروع، كبعض الخراسانيين من أهل جيلان وغيرهم المنتسبين إلى أحمد وغير أحمد انحرافهم أنواع:

أحدها: قولٌ لم يقله الإمام، ولا أحد من المعروفين من أصحابه بالعلم.

قلنا: وهذا وإن كان يعرف، ولا يمكن أن ينطلي على طلبة العلم؛ إذ تُشمّ منه رائحة الكذب والأمثلة التي تذكر في هذه المسائل مهجورة، لكن لابد من بيانها وذكر الأمثلة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ذكر أمثلة هذا النوع: كقول بعضهم بقدم روح بني آدم، ونور الشمس والقمر والنيران، وقال بعض متأخريهم: بقدم كلام الآدميين، وخرس الناس إذا رفع القرآن، وتكفير أهل الرأي، ولعن أبي فلان، وقدم مداد المصحف.

الثاني: قولٌ قاله بعض علماء أصحابه، وغلط فيه، كقدم صوت العبد، ورواية أحاديث ضعيفة يحتج فيها بالسنة في الصفات والقدر، والقرآن والفضائل، ونحو ذلك[1].

(*) هذه الأسباب ليست فقط محصورة في الغلط على الإمام أحمد أو الكذب عليه، ولكن قد يشترك في تلك أئمة آخرون.

(١) انظر رسالة الدكتور عبدالعزيز الحميدي «براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة» ط دار ابن عفان ١٤٢٠هـ.

الثالث: قولٌ قاله الإمام فزيد عليه قدراً، أو نوعاً، كتكفير نوعٍ من أهل البدع كالجهميَّة؛ فيجعل البدع نوعاً واحداً حتى يدخل فيه المرجئة والقدرية، أو ذمه لأصحاب الرأي بمخالفة الحديث والإرجاء؛ فيخرج ذلك إلى التكفير واللعن، أو ردّه لشهادة الداعية وروايته، وغير الداعية في بعض البدع الغليظة، فيعتقد ردّ خبرهم مطلقاً مع نصوصه الصرائح بخلافه، وكخروج من خرج في بعض الصفات إلى زيادة من التشبيه.

الرابع: أن يفهم من كلامه ما لم يرده، أو ينقل عنه ما لم يقله.

قلنا: وهذه أمثلتها كثيرة[1]، فقد ذكر ابن رجب رحمه الله في «القواعد» (٢/ ١٩٤) مثالاً على سوء الفهم فقال: وأبو بكر - المعروف «بغلام الخلال» -كثيراً ما ينقل كلام أحمد بالمعنى الذي يفهمه منه، فيقع فيه تغيير شديد، ووقع له مثل هذا في كتاب «زاد المسافر»[2] كثيراً.

الخامس: أن يجعل كلامه عاماً أو مطلقاً، وليس كذلك، ثم قد يكون في اللفظ إطلاق أو عموم فيكون لهم فيه بعض العذر، وقد لا يكون، كإطلاقه تكفير الجهمية الخلقية، مع أنه مشروط بشروط انتفت فيمن ترحم عليه من الذين امتحنوه، وهم رؤوس الجهمية.

السادس: أن يكون عنه في المسألة اختلاف فيتمسكون بالقول المرجوح.

السابع: أن لا يكون قد قال، أو نقل عنه ما يزيل شبهتهم مع كون

---

(١) «براءة الأئمة الأربعة» د. عبدالعزيز الحميدي، ص ٣٨.

(٢) هذا الكتاب ذكره غير واحد من أهل العلم كالخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، وأبي يعلى في «الطبقات» (٣/ ٢١٤)، والذهبي في «السير» (١٦/ ١٤٤) وغيرهم.

لفظه محتملاً لها.

قلنا: وسيأتي مزيد إيضاح بالأمثلة في أثناء الكتاب.

الثامن: أن يكون قوله مشتملاً على خطأ». انتهى كلام شيخ الإسلام بتصرف.

التاسع: ومن أسباب الغلط: التقليد، قال شيخ الإسلام في «الاستقامة» له (١/٦٨ط رشاد): . . وإذا كان بسبب تقليد كثير من الفقهاء لأئمتهم واتباعهم الظن. .

العاشر: إما بالكذب وعدم التثبّت، أو غيرهما. قال عبدالله بن يوسف الجديع في «العقيدة السلفية في كلام رب البرية» ص (٢٣٣ - ٢٣٤): «لما كان من أمره في الفتنة ما كان، مما رفع الله به شأنه، صار الانتساب إلى عقيدته سلامه، وعلامة السني اتباع عقيدة أحمد، وعلامة المبتدع تركها؛ لذا صار كل من أتى بعده من طوائف أهل القبلة يفخر بالانتساب إليه في الاعتقاد ويعتصم به، وكل طائفة صارت تنسب إليه اعتقادها، وتقول هو اعتقاد أحمد بن حنبل، فتنصر به عقائدها وذلك:

- بالكذب الصريح عليه.
- أو بنقول لا تثبت أسانيدها عنه. أو غير ذلك.

الحادي عشر: أن كثيراً من النقلة عنه، يمشون على طريقة التأليف النقلي، وهذا النوع من التأليف من أعظم المحاذير فيه، كما قال العلامة ابن حمدان الحنبلي: إهمال نقل الألفاظ بأعيانها، والاكتفاء بنقل المعاني

مع قصور التأمل عن استيعاب مراد المتكلم الأول بلفظه . . . فكل نقل لا نأمن معه حصول بعض الأسباب ، ولا نقطع بانتفائها نحن ولا الناقل . . .[(١)].

الثاني عشر: كثرة الحُسّاد والناقمين عليه[(٢)]، وهذا يحصل مع الإمام أحمد وغيره.

الثالث عشر: ما يحصل من الاعتماد على الرؤى والمنامات، وما يحصل من أمور قد تبنى عليها أحكام شرعية، ولا شك أن الرؤى من المبشّرات، ولكنها ليست مما يعتمد عليه - كما ذكرنا - في الأحكام الشرعية أو في التجريح والتعديل، وأمر الرؤى والأحلام أُعتمد عليه كثيراً في باب التراجم.

الرابع عشر: ما يحصل من الأئمة في إطلاقهم حكم التحريم بقولهم: أكره هذا، والإمام يقصد التورع عن إطلاق لفظ التحريم، فيأتي المتأخرون فيظنون أن الإمام يفتي بالكراهة، وسيأتي معنا في قول الإمام أحمد: أكره أن يذبح للكوكب أو الزهرة، ما يوضّح هذا السبب، وتعليق ابن القيم رحمه الله على ذلك.

الخامس عشر والسادس عشر: «أنَّ كثيراً من المسائل المنسوبة إلى الأئمة، إنما حدثت بعدهم بزمن طويل، مما يدل على شدة التلفيق الذي

---

(١) «الاستقامة» للشيخ ابن تيمية (١/ ٢٣، ١٤).

(٢) ذكره الدكتور عبدالرحمن العثيمين في تحقيقه لكتاب «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٤٦) في ترجمة يحيى بن أكثم.

مارسه أهل الكلام في هذا الجانب.

إنّ كثيراً من الكتب والرسائل المنسوبة إلى الأئمة الأربعة، لا تصح نسبتها إليهم»[١] فالنقل منها من أسباب الغلط على الأئمة.

السابع عشر: وقوع الاشتباه والاضطراب في بعض المسائل، خاصة في الصفات[٢].

الثامن عشر: وهو من أهم الأسباب، وأُخر لأهميته: قلّةُ الدين والعلم، قال شيخ الإسلام في دفاعه عن الشافعي في «اقتصاء الصراط المستقيم» (١/ ٦٩٣): . . و إنما يضع مثل هذا الحكايات [أي التبرك بالصالحين] من يقلُّ علمه ودينه.

وهذه الأمور هي من أهم الأسباب في الخلط والغلط على الأئمة عموماً وعلى الإمام أحمد خاصة وهناك غيرها.

وهذا الذي حصل للإمام أحمد حصل لغيره من الأئمة الأعلام، وإليك نماذج من هذا الغلط والافتراء على الأئمة، ولعل الله ييسّر تجميع ما افتري عليهم به، والذب عنهم.

---

(١) «براءة الأئمة الأربعة» د. عبدالعزيز الحميدي، ص ٤٧٨.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ٣٠٨) بتصرف.

أولاً أبو حنيفة الإمام

النعمان بن ثابت التيمي الكوفي ت (١٥٠ هـ) - رحمه الله -

فقد نسب إليه بعض الغالين فيه، وهو الكوثري - عامله الله بما يستحق - أنه يقول (بخلق القرآن) والعياذ بالله، فقد نقل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في رسالته: «مسألة خلق القرآن، وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين . .» ص (٧):

إن الكوثري ذكر عن أبي حنيفة أنه قال في القرآن: «ما قام بالله غير مخلوق، وما قام بالخلق مخلوق».

ثم قال الكوثري: يريد أن كلام الله باعتبار قيامه بالله صفة له كباقي صفاته في القدم، وأما ما في ألسنة التالين وأذهان الحفاظ والمصاحف من الأصوات والصور الذهنية والنقوش فمخلوق كخلق حامليها، فاستقرت آراء أهل العلم والفهم على ذلك بعده. ا هـ.

قال العلامة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله في رسالته: «تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن» ص (١٠-١١):

وما ذكره الكوثري عن أبي حنيفة أنه قال في القرآن: «وما قام بالخلق مخلوق فلا أظن ذلك يثبت عن أبي حنيفة. . . وفي المراد به احتمالان:

أحدهما: ما قرره الكوثري، وزعم أنه مراد أبي حنيفة وهو القول بأنه ما في ألسنة التالين، وأذهان الحفاظ والمصاحف والصور الذهنية والنقوش